



الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى، حمدًا إذا قابل النعم وفي،
وسلاماً إذا بلغ المصطفين شفي، وخص الله بخاصة ذلك نبينا المصطفى،
ومن احتذى حذوه من أصحابه وأتباعه واقتفى، وفقنا لسلوك طريقهم فإنه إذا وفق كفى.
أما بعد

يخرج علينا كل يوم ناعق إما أن يقبح في كتاب ربنا البارئ أو سنة نبينا الهادي صلى الله عليه وسلم أو الكتب الصالحة، ومنها صحيح البخاري، ويتهجم على الأئمة الأعلام الذين حافظوا على سنة خير الأنام عليه الصلاة والسلام.

فهذا الرجل العلماني في زي أزهاري يقول : صحيح البخاري مسخرة وليس مفخرة للإسلام والمسلمين والثابت كتاب الله، وما أتى به، لأن الإسلام لم ينتظر البخاري حتى يكتمل الدين ، مشيراً إلى أن «عذاب القبر ليس من الثوابت» .

وهذا الكلام لا أقول بأنه خرج عن جاهل جهول فقط بل خرج عن رجل فقد عقله وخلط في أول عمره ونشأ في جاهليّة وقد من يعلمه ألف باء الإسلام.

قال الإمام الطحاوي في عقيدة المختصرة : وعلماء السلف من السابقين ومن بعدهم من التابعين أهل الخير والأثر وأهل الفقه والنظر لا يذكرون إلا بالجميل ومن ذكرهم بسوء فهو على غير السبيل.
 منزلة أهل العلم والفقهاء:

لقد كرم الله تعالى في كتابه الكريم فقهاء الإسلام ومن دارت الفتيا على أقوالهم بين الأنام، الذين خصوا باستنباط الأحكام، وعنوا بضبط قواعد الحلال والحرام، ومنهم أهل الحديث الذين عرّفنا بفضلهم الصحيح من الضعيف، فهم في الأرض بمنزلة النجوم في السماء، بهم يهتدى الحيران في الظلماء، وحاجة الناس إليهم أعظم من حاجتهم إلى الطعام والشراب، وطاعتهم أفرض عليهم من طاعة الأمهات والأباء.

قال تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّ لَلَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمٍ قَاتِلًا بِالْقُسْطِ لَلَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ آل عمران: 18

وقال تعالى: ﴿أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلَهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ الأنعام: 122.

فأهل العلم هم حياة القلوب، وما معهم من العلم هو النور الذي يهتدون به في ظلمات البر والبحر.

وقال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ الزمر: 9.

وهذا أيضاً يدل على غاية فضلهم وشرفهم، كما أنه لم يساو بين أصحاب الجنة وأصحاب النار، فكذلك لم يساو بين من يعلم ومن لا يعلم.

وقال تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابُ﴾ الرعد: 19.

ولهذا وصف سائر الخلق بالعمى إلا من أوتى العلم.

وقال تعالى: ﴿وَبَرَى الَّذِينَ أَوْتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ سورة سبا: الآية 6.

وقال تعالى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أَوْتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ المجادلة: الآية 11.

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ فاطر: 28

عن أبي الدرداء قال الرسول صلى الله عليه وسلم : (وإن العلماء ورثة الأنبياء وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما

وإنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر) رواه أبو داود والترمذى

يقول ابن القيم : «وقوله: «العلماء ورثة الأنبياء...» دليل على أنهم أقرب الناس إلى الأنبياء؛ في الفضل والمكانة والمنزلة؛ لأن أقرب الناس إلى المورث ورثته، ولهذا كانوا أحق بالميراث من غيرهم، كذلك العلماء أحق الناس بالنبي صلى الله عليه وسلم وأقرب الناس بالنبي صلى الله عليه وسلم هم أهل العلم

وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (من سلك طريقاً يطلب فيه علمًا سلك الله به طريقاً من طرق الجنة، وإن الملائكة لتبغض أجنبتها رضاً لطالب العلم، وإن العالم ليستغفر له من في السموات، ومن في الأرض، والحيتان في جوف الماء، وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء) رواه أبو داود وابن ماجه والترمذى

يقول الشافعى : إن لم يكن الفقهاء أولياء لله في الآخرة فما لله ولـي.

ويقول عكرمة : «إياكم أن تؤذوا أحداً من العلماء، فإن من آذى عالماً فقد آذى رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنهم حملة كلام الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الذين دون عن حياضه، المنافقون عن كلامه، رحمهم الله».

ويقول الحسن : موت العالم ثلامة في الإسلام، لا يسدها شيء، ما طرد الليل النهار». ويقول أيضاً: «الدنيا كلها ظلمة إلا مجالس العلماء.

ويقول سعيد بن جبیر : عالمة هلاك الناس إذا هلك علماؤهم».

ويقول سفيان الثوري : «اطلبو العلم؛ فإنه شرف في الدنيا، شرف في الآخرة.

وابسط ما نرد به عن كل من يطعن في هذا الإمام التقى التقى الورع العالم الزاهد العابد، ويعرف قدره قبل أن يتكلم على هذا الجبل وجب علينا أن نظر

الصفحات بذكر سيرته وحياته ويعلم الناس فضله، لعل الله أن يحرشنا معه ومع من حمل ودافع عن سنته سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

ترجمة الإمام البخاري

أمير المؤمنين في الحديث وطيب علله في القديم والحديث

نسبة ونشأته:

هو محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن برذيه الجعفي، أبو عبد الله بن أبي الحسن البخاري من مدينة بخارى في خراسان الكبرى (أوزبكستان حالياً) وأصله من مدينة بخارى ، وهو الحافظ إماماً ملهم الحديث في زمانه، والمقتدى به في أوانه، والمقدم على سائر أضرباته وأقرانه، وكتابه الجامع الصحيح أجمع العلماء على قبوله وصححة ما فيه. ولد الإمام البخاري ليلة الجمعة الثالثة عشر من شوال سنة 491هـ، ومات أبوه وهو صغير، فنشأ في حجر أمه، فتوجه إلى حفظ الحديث وهو في المكتب، وقرأ الكتب المشهورة وهو ابن ست عشرة سنة، حتى قيل إنه كان يحفظ وهو صبي سبعين ألف حديثاً سندأومتناً. أصيب بصره وهو صغير، فرأى أمه في منامها إبراهيم الخليل يقول: «يا هذه، قد رد الله على ولدك بصره بكثرة دعائك (أو قال: بكائك) فأصبح بصيراً

قوة حفظه وذاكرته:

تمتع الإمام البخاري بصفات عذبة وشمائل كريمة، لا تتوافر إلا في العلماء المخلصين، وهذه الصفات هي التي صنعت الإمام البخاري بعد توفيق الله له:

الإقبال على العلم : قام البخاري بأداء فريضة الحج وعمره ثمانين سنة فأقام بمكة يطلب بها الحديث ثم رحل بعد ذلك إلى سائر مشايخ الحديث في البلدان التي أمكنه الترحال إليها وكتب عن ألف شيخ.

الجد في تحصيل العلم : وقد كان البخاري يستيقظ في الليلة الواحدة من نومه فيوقد السراج ويكتب الفائدة تمر بخاطره ثم يطفئ سراجه ثم يقوم مرة أخرى وأخرى حتى كان يتعدد منه ذلك قريباً من عشرين مرة.

كما وهب الله الإمام البخاري منذ طفولته قوة في الذكاء والحفظ من خلال ذاكرة قوية تحدي بها أقوى الاختبارات التي تعرض لها في عدة مواقف.

يقول البخاري : ألهمت حفظ الحديث وأنا في الكتاب، وكان عمره حينذاك عشر سنين. ولما بلغ البخاري ست عشرة سنة كان قد حفظ كتب ابن المبارك ووكيع.

وقال محمد بن أبي حاتم الوراق: سمعت حاشد بن إسماعيل وآخر يقولان: كان أبو عبد الله البخاري يختلف معنا

إلى مشايخ البصرة وهو غلام، فلا يكتب، حتى أتى على ذلك أيام، فكنا نقول له: إنك تختلف معنا ولا تكتب، **فما تصنع؟** فقال لنا يوماً بعد ستة عشر يوماً: إنكما قد أكثرتما عليّ وألحتتما، فاعرضا عليّ ما كتبتما، فأخرجنا إليه ما كان عندهنا فزاد على خمسة عشر ألف حديث، فقرأها كلها عن ظهر قلب، حتى جعلنا تحكم كتبنا من حفظه، ثم قال: أترون أنني اختلف هدراً وأضيع أيامِ؟! فعرفنا أنه لا يتقدمه أحد.

وقال ابن عدي: حدثني محمد بن أحمد القوميسي، سمعت محمد بن خميرويه، سمعت محمد بن إسماعيل يقول: أحافظ مائة ألف حديث صحيح، وأحفظ مائتي ألف حديث غير صحيح. قال: وسمعت أبي بكر الكلواذاني يقول: ما رأيت مثل محمد بن إسماعيل، كان يأخذ الكتاب من العلماء، فيطلع عليه اطلاعة، فيحفظ عامة أطراف الأحاديث بمرة.

طلب للحديث:

كان الإمام البخاري يقول قبل موته: كتبت عن ألف وثمانين رجلاً، ليس فيهم إلا صاحب حديث، كانوا يقولون: الإيمان قولٌ وعمل، يزيد وينقص.

رحلته في طلب العلم:

ونبدأها من مسقط رأسه بخاري، فقد سمع بها من الجعفي المنسدي، ومحمد بن سلام البيكندي، وجماعة ليسوا من كبار شيوخه. ثم رحل إلى بلخ، وسمع هناك من مكبن بن إبراهيم، وهو من كبار شيوخه. وسمع بمنthro من عدان بن عثمان، وعلى بن الحسن بن شقيق، وصدقة بن الفضل، وسمع بنيسابور من يحيى بن يحيى التميمي وجماعة من العلماء. وسمع بالرّي من إبراهيم بن موسى.

ثم رحل إلى مكة وسمع هناك من أبي عبد الرحمن المقرئ، وخالد بن يحيى، وحسان بن حسان البصري، وأبي الوليد أحمد بن محمد الأزرقي والحميدي.

وسمع بالمدينة من عبد العزيز الأويسي، وأبيوبن سليمان بن بلاط، وإسماعيل بن أبي أويس. وأكمل رحلته في العالم الإسلامي آنذاك، فذهب إلى مصر، ثم إلى الشام، وسمع من أبي اليمان، وأدم بن أبي إياس، وعلى بن عياش، وبشر بن شعيب، وأبي المغيرة عبد القدوس، وأحمد بن خالد الوهابي، ي ومحمد بن يوسف الغريابي، وأبي مسهر، وآخرين.

تفوّقه على أقرانه في الحديث:

ظهر نوع البخاري مبكراً، فتفوّق على أقرانه، وصاروا يتلذذون على يديه، ويحتفون به في البلدان. فقد رُويَ أنَّ أهل المعرفة من البصريين يدعون خلفه في طلب الحديث وهو شاب حتى يُغلّبُوه على نفسه ويجلسوه في بعض الطريق، فيجتمع عليه ألوان، أكثرهم ممن يكتب عنه، وكان شاباً لم يخرج وجهه. رُويَ عن يوسف بن موسى المرووذي قال: كنت بالبصرة في جامعها، إذ سمعت منادياً ينادي: يا أهل العلم، قد قدم محمد بن إسماعيل البخاري. فقاموا في طلبه، وكانت معهم، فرأينا رجلاً شاباً يصلّي خلف الأسطوانة، فلما فرغ من الصلاة أخذقاها به، وسألوه أن يعقد لهم مجلس الإملاء، فأجابهم. فلما كان الغد اجتمع قريبُ من كذا كذا ألف، فجلس للإملاء، وقال: يا أهل البصرة، أنا شاب، وقد سألكموني أن أحدثكم، وسأحدثكم بأحاديث عن أهل بلدكم تستفيدون منها.

قال أبو أحمد عبد الله بن عدي الحافظ: سمعت عدة مشايخ يحكون أنَّ محمد بن إسماعيل البخاري قدم بغداد، فسمع به أصحاب الحديث، فاجتمعوا، وعمدوا إلى مائة حديث فقلبوا متونها وأسانيدها، وجعلوا متن هذا لإسناد هذا، وإنّساد هذا لمتن هذا، ودفعوا إلى كل واحد عشرة أحاديث ليلقواها على البخاري في المجلس. فاجتمع الناس، وانتدب أحدهم، فسأل البخاري عن حديث من عشرته، فقال: لا أعرفه، وسأله عن آخر، فقال: لا أعرفه، وكذلك حتى فرغ من عشرته فكان الفقهاء يلتفت بعضهم إلى بعض ويقولون الرجل فهم ومن كان لا يدرى قضى على البخاري بالعجز ثم انتدب آخر ففعل كما فعل الأول والبخاري يقول لا أعرفه ثم الثالث وإلى تمام العشرة فلما علم أنهم قد فرغوا التفت إلى الأول منهم فقال أما حديثك الأول فكذا والثاني كذا والثالث كذا إلى العشرة فرد كل متن إلى إسناده وفعل بالآخرين مثل ذلك، فأقرَّ له الناس بالحفظ، فكان ابن صاعد إذا ذكره يقول: الكبش النطاح. رُويَ عن أبي الأزهر قال: كان بسمارقند أربعين من يطلبون الحديث، فاجتمعوا سبعة أيام، وأحبوا مغالطة البخاري، فأدخلوا إسناد الشام في إسناد العراق وإنّساد اليمن في إسناد الحرميin فما تعلقوا منه بسقطة لا في الإسناد ولا في المتن.

وقال أحيد بن أبي جعفر والي بخارى: قال محمد بن إسماعيل يوماً: رُبّ حديث سمعته بالبصرة كتبه بالشام ورب حديث سمعته بالشام كتبه بمصر فقلت له: يا أبا عبد الله، بكماله؟ قال: فسكت.

وكان البخاري يقول: " لا أعلم شيئاً يُحتاج إليه إلا وهو في الكتاب والسنة . ما جلست للحديث حتى عرفت الصحيح من السقيم وحتى نظرت في عامة كتب الرأي وحتى دخلت البصرة خمس مرات أو نحوها فما تركت بها حديثاً صحيحاً إلا كتبه إلا ما لم يظهر لي . ما أردت أن أتكلم بكلام فيه ذكر الدنيا إلا بدأت بحمد الله والثناء عليه".

وللحديث بقية إن قدر البقاء واللقاء

كاتب المقالة : الشيخ / محمد فرج الأصفر

تاريخ النشر : 12/09/2014

من موقع : موقع الشيخ محمد فرج الأصفر
رابط الموقع : www.mohammdfarag.com